متكبر فيها وانه لمن المسرفين يعني من المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبني
اسرائيل وقال موسى يعني لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا يعني فبه فثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر
اوليائه ومهلك اعدائه ان كنتم مسلمين يعني ان كنتم مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله
ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله
والتفويض لامره كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره فقالوا يعني فقال قوم موسى مجيبين
له على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يعني
لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب
من عندك فتقول قوم فرعون لو كانوا على الحق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا فيفتتنوا بذلك وقيل معناه
لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني وخلصنا برحمتك من قوم فرعون الكافرين
لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما
بمصر بيوتا يعني اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوا فلان لنفسه بيتا اي اتخذ مباءة اي وطنا والمعنى
اجعلا بمصر بيوتا لقومكما ترجعون اليها للصلاة والعبادة قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل التفسير
في معنى هذه الاية البيوت والقبلة فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب
الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل
معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القران لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس
انه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وقال مجاهد والضحاك قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا
مع الفراعنة فاذن الله لهم ان يصلوا في بيوتهم وان يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة على جهة بيت
المقدس وقيل اراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة تصلون اليها **فان قلت**
ان الله تعالى قد خص موسى وهارون بالخطاب في اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما ثم انه
عمم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه **قلت** انه تعالى امر موسى بهذا الخطاب
وهارون بان تبوءا لقومكما بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به الانبياء فخصا بالخطاب كذلك ثم لما كانت العبادة
عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة يعني في بيوتكم وذلك حين خاف
موسى ومن امن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة ان يؤذوهم فامرهم الله
ان يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت
ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا في بيوتهم مساجد ويصلوا
فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله لما ارسل موسى وهرون واظهرهما على فرعون امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة
على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله تعالى وبشر المؤمنين يعني انهم لا يصلون اليهم بمكروه قوله تعالى
وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا لما اتى موسى بالمعجزات الباهرات ورأى
القوم مصرين على الكفر والعناد والانكار للمعجزات اخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا السبب
اقدامهم على الجرائم التي كانت بسبب اصرارهم على ما يوجب الدعاء عليهم ولما كان سببه كفرهم وعنادهم هو حب
الدنيا وزينتها لا جرم ان موسى لما اخذ في الدعاء قدم هذه المقدمة فقال ربنا انك اتيت فرعون وملاه
زينة واموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر
والاشياء الجميلة والمال عبارة عما زاد على هذه الاشياء من الصامت والناطق ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا في هذه

اللام

اللام فقيل هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه الاحوال سببا لضلالتهم لانهم بطروا وطغوا في الارض
واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لام العاقبة والمعنى انك اتيت فرعون وملاه زينة فضلوا فعلى هذا هي
لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها
الكلام فيكون المعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم الطمس ازالة اثر الشيء بالمحو ومعنى طمس
اموالهم ازالة صورها وهيئاتها وقال مجاهد اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا
اموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صار سكرهم حجارة وكان الرجل مع اهله صار الحجر
والمرأة قائمة تخبز صارت حجرا وهذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ
قال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة وهي حجارة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل
ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شيء من بقايا ال فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة والجوزة مشقوقة
وهي حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو احد الايات
التسع التي اوتيها موسى عليه السلام واشدد على قلوبهم يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا
تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل على
ان الله يفعل ذلك بمن يشاء ولولا ذلك لما جاز من موسى عليه السلام هذا السؤال فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه قال موسى قبل ان يأتي فرعون ربنا اشدد
على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان قال بعض العلماء
انما دعا موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله اخبر عنهم
في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدره وقضاه عليهم قال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما السلام قد اجيبت دعوتكما
انما نسب الدعاء اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن والتامين دعاء لانه طلب وسؤال ايضا
ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فلذلك قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما يعني على تبليغ الرسالة
وامضيا لامري الى ان ياتيهم العذاب ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يعني ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي
فان وعدي لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا قيل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين
الاجابة اربعين سنة قال الامام فخر الدين الرازي واعلم ان هذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى
وهرون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر اي وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرنا بهم اياه حتى جاوزوه وعبروه فاتبعهم فرعون وجنوده يعني لحقهم وادركهم
بغيا وعدوا اي ظلما واعتداء وقيل البغي طلب الاستعلاء بغير الحق والعدوان الظلم وقيل بغيا في القول
وعدوا في الفعل قال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرج مع موسى من
مصر وهم ستمائة الف وذلك لما اجاب الله دعاء موسى وهارون امرهما بالخروج ببني اسرائيل من مصر في الوقت الذي
امر ان يخرج فيه ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم من مملكته ومفارقتهم
خرج بجنوده في طلبهم فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى اين المخلص والخرج البحر امامنا وفرعون وراءنا قد كنا
نلقى من فرعون البلاء العظيم فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
وكشف الله عن وجه الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان معه في عسكره ثمانمائة
الف على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان يقدمهم جبريل وكان على فرس انثى وديق وميكائيل يسوقهم
حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بني اسرائيل اقتحم جبريل بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون

Copyright © King Saud University